تفريغ المجلس الثاني
شرح كتاب الأمثال في القرآن
من كتاب إعلام الموقعين لابن القيم
للشيخ مشهور حسن آل سلمان حَفِظَهُ اَللَّهُ
الشيخ لم يراجع الدرس

إنَّ الحمد لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لِه، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحَدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ،

أما بعد:

فهذه هي المحاضرة الأولى حول الأمثال في القرآن، نقرأ كلام ابن القيم الإمام القيم من كتابه إعلام الموقعين، وقبل أن نبدأ لابد أن نتذكر أمرين:

الأمر الأول أقلقني، وفكرت فيه طويلا منذ أن بدأت بتحقيق إعلام الموقعين إلى هذه الأيام، وتبرهن عندي بغلبة ظن راجح أن الإمام ابن القيم أَلَّف كتابا مفردا في أمثال القرآن لم يطبع لغاية الآن، والذي يعكر على هذه الحقيقة أن بعض علماء نجد رَحِمَ اَللَّهُ اَلْمَيِّت وَحَفِظَ اَلْحَيِّ أفردوا مبحث الأمثال في القرآن من كتاب إعلام الموقعين، وبحثت عن النسخ الخطية فوجدت أن أقدمها يعود إلى سنة 1276 هـ بمعنى أن النسخ متأخرة.

فالإمام ابن القيم من وفيات سنة 751 هـ.

الأدلة والبراهين على أن لابن القيم كتابا مستقلا كثيرة من أهمها أن تلميذه الإمام ابن رجب، وابن رجب ما أدرك ابن تيمية وإنما هو تلميذ لابن القيم، في كتابه نيل طبقات الحنابلة لما سرد مؤلفات ابن القيم فذكر من بينها قال الأمثال في القرآن.

التردد عندي هل الذي في كتاب إعلام الموقعين من الأمثال هو المعني بكلام ابن رجب، وله كتاب الأمثال في القرآن أم غيره؟ ثم وجدت في مقدمة ابن القيم بقلمه القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية فذكر في المقدمة قال، وهذه أمثالٌ حسانٌ، مضروبةٌ للمعطِّل والمشبِّه والموحِّد، ذكرتها قبل الشّروع في المقصود، وقد اشتملَ منها على بضعةٍ وأربعين مثلاً.. إلى قوله وسنفرد لها إن شاء الله تعالى كتابا مستقلا متضمنا لأسرار معانيها، وما تتضمنه من كنوز العلم وحقائق الإيمان والله المستعان وعليه التكلان.

الأمثال فيها كنوز العلم، وفيها حقائق الإيمان قال يتضمنها كتاب مفرد، وبهذه المناسبة من الأهمية بمكان معرفة مسار مؤلفات ابن القيم وأيهما أُلِّف قبل، وأيهما ألف بعد.

فابن القيم إذا له كتاب اسمه الأمثال في القرآن لكن المسألة هل الذي في إعلام الموقعين هو المعني أم غيره؟ المسألة هنا، وهذا سبب ترددي وتقلب فكري في هذه المسألة.

هل ما ذكره الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين هو كتاب الأمثال في القرآن، أم أن له كتاب مستقل؟ تبين لي بعد تأمل وتدبر أن كتاب ابن القيم أمثال القرآن لم يطبع للآن.

لكن السؤال هل هو موجود أم مفقود؟

هذه المسألة؟ أتعرض لها بعد قليل، لكن لماذا قلت أن كتاب الأمثال في القرآن غير الذي في الإعلام لأسباب:

السبب الأول أن الإمام ابن القيم –وهي النقطة الثانية– قلت لكم لابد أن نتذكر أمرين الآن أذكر النقطة الثانية ثم اعود للجواب على السؤال

الإمام ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين عمد إلى أسرار الشريعة، وأراد قبل أن يبدأ بأسرار الشريعة أن يبرهن على أمرين، واستفاد من أمرين:

الأمر الأول: أن الشريعة معقولة في المعنى، والشريعة ليس فيها طلاسم، ولا رموز والطلاسم والرموز التي تنسب للشريعة من الخرافات ومن صنيع المشعوذين والدجالين والكذابين، والمنتفعين.

فالشريعة كلها معقولة المعنى.

الأمر الثاني: أن الشريعة لها متماثلة منسجمة تسير على قواعد مطردة، وليس فيها الشاذ والذي يخالف قياس، وإنما الشريعة مطردة، ووظف الإمام ابن القيم أمرين للدلالة على هاتين الحقيقتين. الأمر الأول الأمثال، وسيظهر لنا هذا من خلال كلامنا على الأمثال بالتفصيل لما نسرد الأمثال، والأمر الآخر الرؤى والمنامات والتعبير، ولذا سنقرأ في الفصلة التي استدناها من إعلام الموقعين كلاما مهما جدا من أتقنه أصبحت أصول التعبير عنده، ويحتاج إلى متممات فحوى في هذه الكلمات القليلات –ابن القيم– علم أصول التعبير، وما هو الجامع بين الأمثال والتعبير؟

الدلالة على أن الشريعة معقولة.

حتى التعبير له أصول، ولأن الشريعة مطردة ليس فيها الشاذ فهذا الذي يجمع بين الأمرين. فالإمام ابن القيم عمد في كتابه إعلام الموقعين إلى نخب من الأمثال، ووظفها في بيان آثارها في موضوع التوحيد.

لذا هو لما ذكر في مقدمة الكافية الشافية المعروفة بالنونية، وهي قصيدة شعرية بديعة عرض فيها العقيدة السلفية، وعرض فيها الشبه، ورد على الشبه بطريقة عجيبة جدا.

قال وهذه أمثالٌ حسانٌ مضروبةٌ للمعطِّلِ والمشبِّهِ والموحِّد...

فهم ابن القيم أصالة من الأمثال نصرة العقيدة الصحيحة، والرد على المشبهة والرد على المعطلة ونصرة التوحيد، ولذا فكرت ماذا نبدأ بعد تجريد التوحيد؟ فرأيت الأمثال في القرآن، والجامع بين بدئي بالأمثال وتجريد التوحيد أن هذه الأمثال فيها بيان عمق أثر الإيمان على الموحد، وبيان حال المنافق وبيان حال المشرك وبيان حال المخلط.

فقلت حتى تظهر آثار العقيدة الصحيحة فالله جَلَّ في عُلَاه ذكر لنا الأمثال هذه واحدة.

إذا ابن القيم في كتاب الإعلام أخذ نُخبا من الأمثال يؤكد هذا قوله في مقدمة النونية قال وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلا. لو عددنا ما في إعلام الموقعين لا تصل إلى ثلاثين مثل، إذا هذا الكلام ليس هو الكتاب المفرد هذا الوجه الثاني.

الوجه الثالث، وهو المهم احترت كيف ابدأ في منهجي في هذا الدرس فرأيت بعد تدبر وتأمل أن الإمام ابن القيم له على الأمثال المذكورة ها هنا في كتبه التي ألفها بعد إعلام الموقعين كلام مطول مفصل جميل لن تجده في كتاب.

فقلت المجمل هنا سأقرأ لكم شرحه بكلامي؛ فسأشرح الأمثال الموجزة هنا بالكلام المطول له في كتبه الأخرى، وأعانني على ذلك ما كنت عرضت ما في كتابه إعلام الموقعين على كتبه الأخرى، وكتبتها في الحواشي.

كانت الحواشي معينة لي هذا الوجه الثاني، الوجه الثالث التطويل دائما لو كان هذا الكتاب كتاب الأمثال في القرآن لكان هو الأصل والتطويل ها هنا، والإحالات تكون مختصرة على غيره.

فهنا الموجز، والتفصيل عند غيره في كتب أخرى إذا ليس هذا كتاب الأمثال الذي ألفه الإمام ابن القيم. هذا استدعى –وهذا الوجه الآخر– أن أنظر في المخطوطات، مخطوطات الكتاب فوجدت نسخة محفوظة في بعض مكتبات تركيا في مدينة باليكسير في مكتبة اسمها بار شلاط وجدت نسخة باسم أمثال القرآن منسوخة 818 في مجموع تبدأ من ورقة 138 وتنتهي بورقة رقم 178 يعني 40 ورقة كتاب الأمثال بمعنى أن كتابنا أضيق من تلك النسخة. فتلك النسخة مهمة، ونحتاج إلى تصويرها وبعد أن نحصلها، وأسأل الله أن ييسر ذلك وسأفعل قريبا إن شاء الله، وإن شاء الله قبل أن ننتهي من دورتنا في الأمثال تصلنا هذه النسخة.

فإذا وجدنا كتابا آخر للإمام ابن القيم اسمه الأمثال في القرآن فيه البسط والتفصيل والتطويل الذي سنلجأ إليه في دروسنا هذه فهذا فتح وهذا كنز ولم أر أحدا من المعاصرين نبه على مجرد احتمال أن يكون للإمام ابن القيم كتاب مفرد في الأمثال، والذي شاع ودرج عند الناس أن الإمام ابن القيم له الأمثال في إعلام الموقعين، وكتاب الأمثال استل من إعلام الموقعين، وزاد الأمر غموضا أن كتاب أمثال القرآن مطبوع عدة مرات، ولكن كتاب أمثال القرآن المطبوع عدة مرات هو الذي استلوه من إعلام الموقعين. لذا كتب أمثال القرآن لما تأخذ أي نسخة

من إعلام الموقعين الكتاب قليل جدا، وكله مقدمات وحشو لا يوجد منه كبير فائدة. فتحت هذه الحقيقة ضاع الكتاب الحقيقي المسمى الأمثال في القرآن للإمام ابن القيم.

قلت وما زلت أقول هذا الذي أذكره قائم على غلبة ظن ورجحان، ولكن الحقائق في الوثائق. لما تصلنا المخطوط فيها الحقائق.

فالحقائق في الوثائق، وليست الحقائق مجرد ما يخطو في البال ويسمح في الخيال، فتأتينا الوثيقة إن شاء الله التي تقوم عليها الحقيقة.

الآن قبل أن نبدأ بالمثالين أو ذكر الإمام ابن القيم في الكتاب الذي معنا، وبدأ الأمثلة بمثالين سمى المثال الأول مثال ناري، وسمى المثال الثاني مثال مائي.

نحتاج أن تكون عندنا مقدمة موجزة عن الأمثال، وأن يكون لنا مدخل صحيح وتمهيد للأمثال وأقسام الأمثال، وهذه الأقسام من حيثيات عديدة.

وأنواع الأمثال وفائدة الأمثال، والكلام في هذا يطول لكن لابد لنا من كلمة حول هذا الموضوع، والمدخل العام لهذه الكلمة قاعدة أذكرها لكم الآن ثم نبدأ بقراءة الكتاب.

الأمثال هذه هي من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ كلام الله تعالى مُعجِز، وكلامه سبحانه بالنسبة إلى كلامنا كذاته بالنسبة إلى ذواتنا، والأمثال فيها بيان وتوضيح زائد لأثر المثل في النفس.

القاعدة تقول –وهذه قاعدة مطردة عامة في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ – تقول الزيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى المثل فيه مشبه، ومشبه به، ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به، وسريان وجه الشبه على وجه أوضح إلى المشبه، وبالتالي الكلام فيه طول، والقرآن لا يوجد فيه حرف لا فائدة منه.

القرآن الكريم لا يوجد حرف واحد لا فائدة منه، فالعلماء يقولون الزيادة في المبنى [رسم الكلمة] تدل على الزيادة في المعنى.

فمثلا خذ قول الله عَزَّ وَجَلَّ {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه:132] فالله هذه الآية ما أجملها أمرك لأولادك ولأهل بيتك بالصلاة سبب رزقك.

الأمر بالصلاة سبب من أسباب الرزق، اربط في آخر الآية وأول الآية {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ} في صلة بين الأول والآخر.

ليس هذا الهم في هذا السياق الذي أذكره الآن همي قول الله تعالى {وَاصْطَبِرْ} ولم يقل [واصبر] زيادة الطاء في قوله تعالى {وَاصْطَبِرْ} الطاء هذه التي تدل على زيادة في المعنى.

ما معنى زيادة في المعنى؟

يعني عَرِّف ابنك وابنتك وزوجتك أهم شيء عندك الصلاة، إذا أردت يا ولدي يا ابنتي أن تبريني، وكنت تحبيني فاعلمي أن أهم شيء عندي الصلاة.

فالصلاة ديدنك وهجيرك وهمك، والذي ينبعث منه طلبك أن يكون أولادك لا قدر الله غير مصلين هذا قرض {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ} ما قال واصبر قال {وَاصْطَبِرْ} صبر، وصبر، وصير ديدنك في بيتك رسالتك الأولى لأولادك وأهل بيتك إقامة الصلاة، شغلك الشاغل إقامة الصلاة، وقولك قد أمرتهم بالصلاة!

يعني أمرتهم قبل عشرين سنة بالصلاة، والآن تاركين صلاة. أنت الآن مبطل ولم تمتثل قول الله {وَاصْطَبِرْ} فالمقصد من هذه الآية أن {وَاصْطَبِرْ} الطاء هذه تدل على الزيادة في المعنى هي زيادة المبنى دلت على الزيادة في المعنى.

انظر مثلا سورة الزمر قال {حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر:71] {حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر:73] الواو {وَفُتِحَتْ} لأهل الجنة؛ لأن الله جَلَّ في عُلَاه يعامل الكافرين جزاء وفاقا. فالله زاد {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} ليبين لك أن الله جعلك من أهل الجنة، وأرجو الله تعالى أن نكون من أهلها وألا نحرم منها، فإن الله يجازينا ليس على أعمالنا وإنما يجازينا بفضله ومَنِّه وكرمه، ويكون لنا في الجنة ما لا يخطر في بال كما قال عَزَّ وَجَلَّ في الحديث القدسي لهم فيها لهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. فأهل الجنة لما يدخلون الجنة الله قال {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} ما قال فتحت. {فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} جزاء وفاقا {وَفُتِحَتْ} هذه الواو زيادة في المبنى. هذه الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى.

يعني للمتقين في جنة الله تعالى ليس جزاء أعمالهم فقط. جزاء أعمالهم وزيادة.

وانظر مثلا في سورة الكهف عن الذي السور الذي بناه ذو القرنين قال الله عَزَّ وَجَلَّ {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ} [الكهف:97] {اسْطَاعُوا} قال {وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} ظهور السور، والصعود عليه أسهل من نقب السور. أيهما أصعب تصعد على السور أم تنقبه أيهما أصعب؟ النقب فقال الله تعالى {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ} ثم قال {وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} في المبنى {اسْتَطَاعُوا} فيها حرف زائد حرف [التاء] و{اسْطَاعُوا} دونها. فالزيادة في المبنى دلت على الزيادة في المعنى.

احفظوا هذه القاعدة، وينبغي أن نوظف هذه القاعدة لبيان أن الأمثال فيها زيادة مبنى وزيادة كلمات مشبه ومشبه به. لماذا هذه الزيادة في المبنى؟ حتى يكون الأمر واضح.

من الذي ضرب لنا هذه الأمثال؟ الله جَلَّ في عُلَاه، والله الذي لا تخفى عليه خافية، الله الذي يعرف السر وأخفى، الله جَلَّ في عُلَاه الذي لا يغيب عنه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وسنرى في الأمثال التي سنذكرها بإذن الله تعالى العجب العجاب، وفيها غوص في أعماق النفس وبيان أثر هذه الأمثال.

الآن نقرأ كلام الإمام ابن القيم، وأنبه قبل أن نبدأ أحسن مبحث رأيته من الأمثال في القرآن في موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

هذه الموسوعة من أجمل الموسوعات التي فسرت القرآن على المواضيع. هذه الموسوعة في 40 مجلدة، ففي المجلد الخامس –وهي مرتبة على الحروف– فالمجلد الخامس الألف والميم أمثال. ففيها كلام عن الأمثال، وفيها تفصيل بديع، وسأضع ما فيها عن الأمثال و هو نحو عشرين ورقة على موقعي الدرر الحسان. الوقت يضيق لو بدأنا نقرأ فيه هذا الأمثال يكون جيدا، والكلام الموجود في هذه الموسوعة سهل ليس بصعب فسأضع الكلام عن الأمثال في القرآن اليوم بإذن الله تعالى أو غد في موقع الدرر الحسان، وتقرأون هذه الأمثال. كل مثل من الأمثال نتعرض فيه لبعض الأشياء الدائمة. يعني أشياء دائمة، ومن الأمور سنعرض كلام ابن القيم في الإعلام الموجود فيه تفصيل وتطويل في المواقع الأخرى سأقرأ كلامه، وسأجعل

شرحي لكلامه في إعلام الموقعين هو يشرح كلامه المجمل ها هنا، فإن لم يوجد له شرح فسأعمل بإذن الله تعالى على بيان الشرح.

نسمع الآن المقدمة اليسيرة التي ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اَللَّهُ ◌َتَعَالَى

القارئ: قال المؤلف رَحِمَهُ اَللَّه ضرب الأمثال في القرآن والحكمة فيه، ومن هذا ما وقع في القرآن من الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون فإنها تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر.

الشيخ: أريد أن نقف عند هذه العبارات، وتكون لنا مدخلا للكلام في الأمثال.

المقصود من الأمثال أثرها في القلوب، وأثر المثل أشد بكثير مما لو أنه ذكر من غير ذكر المثل.

والأمثال في القرآن فيها تشبيه الخفي بالجلي أحيانا، وتشبيه الغائب بالشاهد، وتقريب الشيء المعقول الذي لا يقدر عليه إلا أصحاب العلم والتجربة والنظر بالشيء الملموس المحسوس.

الملموس المحسوس سهل، والأمر التصوري لا يقدر عليه كل الناس، وسيظهر هذا جليا معنا في المثل الأول والمثل الثاني في بيان هذا.

فمثلا الله عَزَّ وَجَلَّ ضرب في الإيمان. الإيمان أمر معقول أم محسوس؟ الإيمان. يعني بتعبير علماء الكلام هل هو عرض أم جوهر؟ هو عرض، وليس جوهر، هو معقول وليس بمحسوس. الإيمان لا نراه، نرى آثاره، والعرض الذي لابد له من ذات لابد لهم جوهر يقوم به.

مثل اللون والوزن إلخ، لابد له شيء ملموس فالإيمان معقول، وليس بمحسوس.

فدائما ضرب الله تعالى المثل بالمعقول بشيء محسوس.

المثل الذي ضربه الله تعالى بالإيمان، بالنور. النور نور محسوس. طبعا والكفر كذلك معقول، وضرب الله عَزَّ وَجَلَّ المثل به وجعله في الظلمات. والظلمات محسوسة.

كذلك بيت العنكبوت الذين يلجأون إلى غير الله عَزَّ وَجَلَّ حالهم كحال بيت العنكبوت.

مثل بيت العنكبوت فيه معني، وفيه من الإعجاز ما الله به عليم، وسيأتينا الكلام مفصلا لما نأتي إلى بيت العنكبوت المذكور.

فالضعف أمر معقول، بيت العنكبوت أمر محسوس تراه محسوس.

فالمقصد من الأمثال في القرآن أن تفهم الحقائق كأنك تشاهدها، وهذه الحقائق هي في أصلها معقولة متصورة محلها الذهن، ولكن المثل محله أمر واقع وأمر ملموس مشاهد.

فالقرآن في هذه الأمثلة، وفيها زيادة مبنى تدل على زيادة المعنى حتى يوضح الله عَزَّ وَجَلَّ لنا ذلك، وسيأتي كذلك المحسوسات الموجودة في القرآن قال {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُون} [العنكبوت:43] لا يعقل الأمثال في القرآن إلا العالم.

الجاهل تقول له الأمثال «ليس هذا بعشك فادرجي» الجاهل ليس له نصيب في الأمثال، ولذا كان بعض السلف إذا قرأ مثلا في القرآن، ولم يفهمه اشتد بكاؤه، وقال لست من العالمين.

إذا القرآن وأمثال القرآن وفهم أمثال القرآن تنقل الإنسان من كونه ليس بعالم إلى كونه عالما؛ لأن أمثال القرآن مركبة بحقائق كثيرة مهمة، وعليها مدار النجاة.

فمن أدرك هذه الحقائق، وأصبحت عنده ليست متصورة، وإنما أصبحت شاملة ماثلة للعيان فهذا هو العالم. فهذه الحقائق أصبحت عنده يقينية لا شك فيها، فلا يتردد في فعل الطاعات، ولا يتلكأ فيها ويبقى ماضيا قدما على بينة من الله عَزَّ وَجَلَّ حتى يقرع باب الجنة.

فباب الأمثال كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُون} [العنكبوت:43] تقرأ مثل في القرآن ما فهمت المثل، هذا دلالة على جهلك، ولذا بعض السلف لما يقرأ القرآن يفهم، وإذا ما فهم يبكي.. يشتد بكاؤه، يقول أنا جاهل.

فحص علمك، وفحص سيرك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ هل هو صحيح أم ليس بصحيح، الفحص أن تفهم المثل إن قرأته.

قرأت المثل تفهم المثل، تفهم أبعاده وما شابه.

الهدف من الأمثال إصلاح البشرية في جميع نواحي الحياة، ولخص الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد بكلمات قليلات تحتاج لبسط طويل، وهذا البسط ذكره الزركشي في البرهان، بسطه وطول فيه وتجدوه في الأوراق التي وعدتكم بها. تجدون هذا البسط في بيان أمثال القرآن

وفوائد أمثال القرآن عبارة الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد إن ضرب الأمثال يستفاد منه أمور منها التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير، وقد تأتي الأمثال مشتملة على بيان التفاوت في الأجر والتفاوت في العقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق الأمر.

هذا الموجز تفصيله في الأوراق التي تقرأونها.

المثل في أصل الكلام من المِثْلِ، وهو النظير. العرب تقول مَثَلْ، ومِثِل، ومَثِيل، وتريد الشبه. [مَثَلْ: شَبَه] و[مِثِل: شِبه] و[مَثِيل: شَبِيه] قال ابن فارس الإمام اللغوي المعروف قال [مِثِل] أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء. فهذا مثل هذا أي نظيره، والمِثَل المِثَال في معنى واحد. والمِثَل أيضا يكون فيها صفة. يراد به نظير، ويراد به الصفة كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:11] معناه ليس كصفته صفة، انتبه. هوما قال ليس مثله شيء قال {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} يعني لو وجد شيء شبيه بشيء فالله جَلَّ في عُلَاه على خلاف هذا الشيء الشبيه بالشيء.

فأدخل الله تعالى الكاف للتأكيد {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وإلا ليس مثله شيء الكلام في اللغة صحيح، والكاف ليست زائدة كما يقولون، وهذه مسألة تحتاج لبسط وتطويل لكن أعطيكم الخلاصة الحرف الزائد في القرآن قد يُستساغ من ناحية إعرابية، أما من حيث المعنى فغير مستساغ.

واحد يقول هذا حرف زائد، ولا فائدة له في القرآن هذا خطأ. لا يوجد حرف زائد في القرآن من حيث المعنى فـ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ليس كصفته صفة تنبيها على أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإن وُصف بأوصاف كثيرة يتصف بها البشر فليست صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شبيها بصفات البشر.

ومنه قول وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى {لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ} [النحل:60] فلهم صفات ذميمة، والله جَلَّ في عُلَاه له الصفات العليا. {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} [مُحَمَّد:15] أي صفة الجنة، وهكذا.

هذه مقدمة لابد منها في موضوع المقدمة للمثل.

نأتي الآن للأمثال، والآن نحتاج مَثَل قال كقوله في حق المنافق.

المثل المنافق هو المعني، المشبه، والمنافق الذي أظهر الإيمان وأبطن الكفر هذا هو المنافق، وكل آية بما فيها هذين المثلين كل آية فيها ذكر للنفاق فإنما هي آية مدنية؛ لأن النفاق لم يُعرف في مكة المكرمة، وإنما عُرف لما قام للمسلمين شأن، وأصبحت لهم قوة فتستر بعض الناس بالإيمان فهذا مثل يربي الله جَلَّ في عُلَاه المؤمن ليثبت على إيمانه، ويُقَرّع الكافر، ويكشف حاله، وشَبَّه الله عَزَّ وَجَلَّ المنافق بمثالين. الإمام ابن القيم ذكر المثالين في الإعلام، وأجمل في الكلام على هذين المثالين، وطول في المثل الأول في كتابه شفاء العليل، وسنقرأ هذا المثل شارحين له من كلامه في شفاء العليل. نسمع المثل الأول.

القارئ: كقوله تعالى في حق المنافقين {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُون * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُون} [البقرة:17-18] إلى قوله تعالى {إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير} وضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلا ناريا ومثلا مائيا، لما في النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة.

الشيخ: الحياة كلها قائمة على حرارة، وعلى ماء. كل الحياة قائمة على الحرارة فالله جَلَّ في عُلَاه فَصَّل في المثالين فذكر حال المنافقين.

المثل الأول الناري. الناري فيه نار وظلمة، والماء فيه رعد وبرق وظلمات وماء، وضارب المثل الله الذي يعرف ما في اخلاجات النفوس وما في الصدور.

الأمثال تقسم أقسام، وهذه الأقسام ستبقى لصيقة في دروسنا في كل مثل من الأمثال.

أولا: ميادين المثل ميادين المثل في القرآن ثلاثة:

- الميدان الأول: ميدان العقيدة والتوحيد.
- الميدان الثاني: ميدان الأعمال.
- الميدان الثالث: ميدان الأخلاق.

الأمثال التي ذكرها ابن القيم في إعلام الموقعين كلها تدور على العقيدة.

نعم بعضها يخص الأعمال، كالذي معنا في هذا المثل.. المثل المائي والمثل الناري لكن هذه الأعمال أعمال قلوب، وأصحابها يثبتون أم ينقطعون، يصلون في المثل يصلون أن مبتغاهم، وإلى رضى الله عَزَّ وَجَلَّ أم أنه يُقطع بهم؟ الله جَلَّ في عُلَاه لا يُغَالَب.

المنافقين يغالبون الله. الله لا يُغَالَب، فالإنسان الفاسد لا بد أن يظهر فساده، ولا يستقيم ومتى يظهر فساده وعجزه؟ لما يكون في أحوج الأمور إلى رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ وهذا مذكور في كثير من الأمثال كما سيأتي.

إذا من المواضيع التي سنطرقها في كل الأمثال المذكورة عند الإمام ابن القيم ميدان المثل هذا رقم واحد، هذا النوع الأول من حيثيات أنواع المثل.

المثل المائي والمثل الناري اللذين نحن الآن بصدد شرحهما إنما هو في الميدان.

قلنا الميدان إما العقيدة وإما الأعمال، وإما الأخلاق.

الميدان الذي معنا ميدان العقيدة، وفيه العمل.. نعم لكن العمل هل هو يوصل أو لا يوصل؟ لكن هو من تبع.

الأصل في هذا المثل في هذين المثلين إنما هو في موضوع العقيدة.

الأمثال أنواع أيضا وهنالك أمثال حسية، وهنالك أمثال معنوية، وهنالك أمثال افتراضية تصورية.

فالمثلين اللذين معنا إنما هي حسية، وليست معنوية. تأمل معي عندنا مُشَبَّه، ومُشَبَّه به. المشَبَّه منافق، أو إيمان منافق، فإذا كان المشَبَّه إيمان المنافق يكون المثل تشبيه المعقول بالمحسوس.

وإذا كان المراد المنافق يكون تشبيه المحسوس بالمحسوس.

العبرة بالمنافق الإيمان، ولذا الإيمان الله جَلَّ في عُلَاه قال {مَثَلُهُمْ} فمثلهم لا ينفك إيمانهم عنه، فهو مذموم ليس لأنه بشر، وأنه محسوس، إنما هو مذموم للنفاق الذي اعتراه، والذي امتلكه فأصبح كله كتلة نفاق مجسمة.

فالمثل لا يخص شخصا بعينه، وإنما يخص المنافق. فالمنافق المراد به ها هنا ما في قلبه، ولكن الله جَلَّ في عُلَاه شَبَّه الحال لأن الإنسان في الله عَزَّ وَجَلَّ ما هو؟ أنا وأنت كيف نوجد عند الله عَزَّ وَجَلَّ ؟

بما في قلوبنا. نحن عند الله بما في قلوبنا، فمن أحسن.. أحسن الله إليه، ومن أساء له مقابل إساءته ما يستحقه وفق عدل الله عَزَّ وَجَلَّ من الجزاء والعقاب.

هنالك أمثال صريحة فيها ذكر المثل، وهنالك أمثال مُتضمنة كامنة.

هنالك أمثال كامنة وليست صريحة. الأمثال التي معنا ميدانها العقيدة، وهي صريحة وبعضها حسي وبعضها معنوي، والمثل الذي معنى يحتمل هذا يحتمل ذاك على ما قلناه وفصلناه.

نبدأ الآن بالكلام على المثل الناري.

القارئ: قال فإن النار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد جعل الله الوحي الذي أنزله من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها، ولهذا سماه روحا ونورا.

الشيخ: يا سلام ما أجمل هذه الآية! الله جَلَّ في عُلَاه يقول {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا} [الشورى:52] احفظوا هذه مهمة. هذه الآية هي المفَصِّلة والشارحة لقول الله تعالى {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى} [الضحى:7]

لو سأل سائل ما معنى {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى}؟ كيف كان النبي ضالا، والأنبياء معصومون؟ وإياك أن تقول العصمة لله.. قل الكمال لله. العصمة من الله لمن؟ لمن يجوز في حقهم الخطأ، ولولا أن الله عصمهم لأخطأوا.

فالعصمة للأنبياء. لا تقول لله؟ إذا قلت لله هذه عبارة كفرية، بعض الخطباء على المنبر يقول العصمة الله؟! طيب يا حبيبنا العصمة لله من ماذا! من الذي يعصم الله؟ أعوذ بالله.. أعوذ بالله العصمة للأنبياء. الكمال لله، والعصمة من الله {لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ} [هود:43] العاصم هو الله. {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى} الله عَزَّ وَجَلَّ يقول {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا} ما

معنى قول الله عَزَّ وَجَلَّ {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى}؟ {مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ} هذا هو تفسير قول الله عَزَّ وَجَلَّ {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى}

طيب نقرأ القراءة الاستكشافية الأولى للمثل ثم نأتي إليه مفصلا إن شاء الله.

القارئ: قال رَحِمَهُ اَللَّه وجعل قابليه أحياء في النور ومن لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام فاستضاءوا به وانتفعوا به وآمنوا به وخالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طغى عنهم وذهب الله بنورهم ولم يقل نارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه لا يرجع إليه ولهذا قال {فَهُمْ لاَ يَرْجِعُون}.

الشيخ: انتهى كلام الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اَللَّهُ ـَتَعَالَى على المثل الأول، وهو المثل الناري.

فصل الإمام ابن القيم هذا المثل بتفصيل بديع وتدقيق شديد، والوقوف عند كل كلمة في الآية في كتابه شفاء العليل، ولذا سأشرح هذا الكلام الموجز الذي سمعتموه بكلامه رَحِمَهُ اَللَّهُ ـَتَعَالَى في شفاء العليل.

قال تأمل قوله {أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ} عندنا الآن مثل المشبه المنافق، والمشبه به نار فيها نور، والنور الذي فيها فيه إضاءة.

النار يُستفاد من منها، من نارها بالدفء ومن نورها بالإبصار، ولذا الناس في الصحاري والفيافي يشعلون النيران. إشعال النيران لأسباب، وأذكر شيء بعيد. في صحيح البخاري عن عائشة كانت تقول كانت الزواني تشعل النيران لأصحاب الطرقات للزنا.

كم استغربت بعض اخواننا ممن يعيش في إيطاليا يقول هذه عادة ما زالت في إيطاليا. إذا وجدوا النيران يقولون هذه زواني، يطلبون الزناة لا إله إلا الله. الشيطان له منهج واحد وسيبقى هذا المنهج إلى قيام الساعة. من زمن قول عائشة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا إلى هذا الزمان.

نرجع تأمل معي يقول الإمام القيم تأمل قوله تعالى {أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ} الله عَزَّ وَجَلَّ يقول {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً} مُشبه به رجل منافق مثل رجل أوقد نارا {فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ} يقول ابن القيم تأمل قوله {أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ} كيف جعل ضوئها خارجا عنه منفصلا، ولو اتصل ضوءها به ولابسه لم يذهب. {فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ} هو لا دخل له في الضوء أصلا، لا دخل له في الإضاءة.

لماذا هو ليس له صلة بالنور والإضاءة؟ لأنه منافق، ولذا هذا خطأ ما قاله بعض المفسرين قالوا هذا مثل لمن أسلم ثم طرأ عليه النفاق. هذا الكلام ليس بصحيح.

هذا مثل لمن لم يسلم أصلا، وإنما أظهر إسلامه لمصلحة، وإنما ليس له مصلحة في الإسلام. فالقول بأن هذا قال كيف يكون مثل في النار، وفي نور؟ قالوا لا هو في نار وفي نور، وكان هذا قد أسلم، وكان عنده نور الإيمان ونور الإسلام في أول الإسلام، ثم طرأ عليه النفاق! هذا الكلام ليس بصحيح؛ لأن عَزَّ وَجَلَّ قال {أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ} ولم يقل أن له صلة بالنور الذي يضيء.

الشبه مطابق تماما، يقول {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ} كيف جعل ضوئها خارجا عنه منفصلا، وإن اتصل نورها به ولابسه لم يذهب، ولكنه كان ضوء مجاورة، وليس ضوء نابع من ذاته. لا ضوء ملابسة ومخالطة، وكان الضوء عارضا، والظلمة أصلية فرجع هذا المنافق في هذا المثل رجع إلى أصله، والضوء أهل الإيمان أهل القرآن الصادقون المخلصون حولهم من أصحاب رسول الله صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن المؤمنين إلى قيام الساعة حوله، وهو لم يتصل بهم.

هو ما اتصل بالمؤمنين، وليس له صلة بالإيمان. النور تضئ ما حولك طب هل هو يستفيد من هذا الضوء؟ الضوء ليس نابعا منه، ضوء مجاورة، وليس الضوء حقيقة، حقيقته ظلمة، وليست حقيقته الضوء.

قال فرجع الضوء إلى معدنه وبقيت النار في معدنها فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به حجة من الله تعالى قائمة، وحكمة بالغة تعرف بها إلى أولي الألباب من عباده تأمل قوله {مَثَلُهُمْ

كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ} تأمل قول الله تعالى {ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} ولم يقل ذهب الله بنارهم، ناره موجودة طبيعته ظلمة، والشرك الذي تعشش في القلوب يستدعي النار، وبقاء النار لأن هذا الذي وقع التشبيه به من أهل النار قال {فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ} بنارهم أم بنورهم؟ {ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} ما قال بنارهم، النار باقية قال {ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} ولم يقل بنارهم ليطابق أول الآية فإن النار فيها إشراق وإحراق، فذهب الله بما فيها من الإشراق وهو النور، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو النار. طيب تأمل كيف قال {ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} ولم يقل بضوءهم {فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ} قال {ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} ما الفرق؟ {ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} أو ذهب الله بضوئهم؟ قال لأن الضوء هو زيادة النور، فلو قال ذهب الله بضوءهم لأوهم ذهاب الزيادة فقط، وبقي النور قائما.

قال فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابا بالشيء وزيادته، وهو النور.

أصل الضوء هو النور، ذهب الله بالأصل ليس بالزيادة فقط.

ما المعنى؟

أن هؤلاء المنافقين على الرغم من أن النار حولهم لكن ليس لهم منها نصيب، وهي فيها إشراق وإحراق ليس لهم فيها نصيب إلا الإحراق لا الإشراق.

الله الذي ضرب هذا المثل.

العادة في أمثال الخلق لم يضرب الإنسان أمثاله يضرب مُشبه، ومُشبه به وهذا المشبه بأقسام وهذه الأقسام شيء يلحق، وشيء لا يلحق.. هذا لا يعرفه إلا علام الغيوب هذا الشأن لا يقع إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

ما المراد من المثل؟

تقبيح صورة المنافق وبيان أثر النفاق، وأن هذا الأثر في النار وأن الخير الذي هو تلبس به، وأظهر أنه من أهله ليس له فيه نصيب.

هذا الخير الذي أظهره الإيمان لكن هو على حقيقة أمره ليس مؤمنا. فهذا الخير الذي أظهره ليس له فيه نصيب.

وأيضا فإنه أبلغ في النفي عنهم {ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ} وأنهم من أهل الظلمات هذا حقيقة أمرهم.

أنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم، وأيضا فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد سمى كتابه نورا، ورسوله نورا، ودينه نورا، ومن أسمائه النور، والصلاة نور.

فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله ذهاب للصلاة غير مقبولة، وليس لهم صلة بالله جَلَّ في عُلَاه وليس لهم صلة بالنبي صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس لهم صلة بالقرآن الكريم، الله يقول {فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون} [الأعراف:157] وقال الله عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} [المائدة:44] وقال الله عَزَّ وَجَلَّ {وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ} [المائدة:46] الإنجيل هدى ونور، التوراة هدى ونور، القرآن نور {قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ} [المائدة:15-] قد جاءكم من الله نور أي الوحي. الوحي نور، والكتاب نور أو مُحَمَّد صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أُنزل عليه، والعبارات المتلازمة ليس بينها اختلاف.

فالنور الوحي، النور القرآن، النور مُحَمَّد صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهكذا، والله عَزَّ وَجَلَّ من صفاته النور.

يقول ابن القيم في شفاء العليل:

وتأمل مطابقة هذا المثل لما تقدمه من قوله {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِين} [البقرة:16] كيف طابق بين هذه التجارة الخاسرة التي تضمنت أصول الضلالة، وغضابها وبذل الهدى في مقابلتها.

أخذوا الضلالة، ودفعوا عوضا عنها الإيمان، فبذلوا الهدى والنور، وتعوضوا عنه بالظلمة والضلالة فيا لها من تجارة ما أخسرها وصفقة ما أشد غبنها.

تأمل معي الآية مرة أخرى {ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ} ذهب الله من نورهم ووحده، هذا شيء لا عوض له ولا بديل عنه، من لم يكن مؤمنا واحد لا ثاني له.

{ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} وحده، {وَتَرَكَهُمْ فِي} ما قال ظلمة قال {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ}فجمع، فإن الحق واحد، وهو صراط الله المستقيم الذي لا صراط يوصل إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه سبحانه على لسان رسوله صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بالأهواء والبدع، وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق بخلاف طرق الباطل، فإنها متعددة متشعبة، ولهذا يُفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحق دائما في الكتاب، ويذكر الباطل بالجمع، ويجمع الباطل كقوله تعالى {اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ} [البقرة:257]

{يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ} الجمع {إِلَى النُّوُرِ} {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} وقال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} [الأنعام:153] فجمع سبيل الباطل، ووحد سبيل الحق.

تأمل معي الآن الدقة ولا يناقض هذا قول الله عَزَّ وَجَلَّ {يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ} [المائدة:16] وهذه الآية مثلها قول الله تعالى:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت:69] فهذه السبل هي ضمن الصراط.

أنبه وأنوه على فائدة، وهذه الفائدة يفرح بها السني الحريص على إقامة سنة رسول الله صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نسأل ربنا في الفاتحة نقول {اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيم} [الفاتحة:6] هذا الصراط فيه سُبُل، وسر ذكر الله في للصراط بأن تقول {اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيم} الصراط الطريق الواسع الذي يسع الخلق كلهم من لدن آدم إلى قيام الساعة.

في المثل عند العرب يقولون: لا تَكُن حُلوا فَتُسْتَرَط، ولا تكن مُرًّا فَتُلفظ والمراد بالمثل لا تَكُن حُلوا فَتُسْتَرَط أي فتُبلع لو كنت حلو مع الناس وكلامك حلو وما تؤذي أحدا، الناس يبلعوك فكن وسط بين.. بين.

ما صلة هذا المثل بالصراط؟

الصراط الذي يبلع .

يبلع ماذا؟

يبلغ الخلق كلهم.

الصراط فيه طرق.

في طرق مسلوكة.

الطريق إن كان مسلوكا سُمي سبيلا، والطريق إن كان موصل أو غير موصل سُمي طريقا.

للنساء عن أهل النار طريق إلى جهنم. أهل النار طريق لأن الطريق غير موصل للجنة.

الصراط يمتاز كله بما فيه من سبل، وكانت هذه الطريق وحيدة وموصلة للجنة كانت صراطا، والصراط منه السبل ليس سبيل كما قال {سُبُلَ السَّلاَمِ} {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} هذه السبل لا تخالف القاعدة.

الصراط فيه سبل، وفيه طرق وعرة، وكلاهما صراط المستقيم موصل للجنة.

الفرق بين السبيل والطريق الوعرة، السبيل الطريق المسلوك {قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [يوسف:108] طريق مسلوكة. السبيل طريق مسلوكة، {هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو} الطرق الوعرة في الصراط موصلة للجنة. ما هجره الناس من دروب الخير، ومما فعله رسول الله صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه طرق وعرة لما تقررها على الناس، غريبة عنهم بعيدة عن حسهم، لا يعرفونها ولا يعرفون أنها من الدين.

فالصراط يشمل السبل المعروفة، والأمور التي ليست معروفة. فأنت تسأل ربك لما تقول {اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم} ما تقول السبيل، تقول يا الله السنن التي هجرها الناس، وسبل الخير التي أصبحت في طي الكتمان، والناس لا يعرفونها أنا يا رب أسألك إياها، أنا أقول {اهدِنَـا الصِّرَاطَ} ما أقول اهدنا السبيل، حال الناس اليوم يقول اهدنا السبيل، أو اهدنا السبل، لكن لا. أنا ما أريد السبل فقط، أنا أريد الصراط الذي فيه السبل، وفيه ما يرضي الرب عَزَّ وَجَلَّ من أصناف الخير وأنواعه وضروبه مما لم يألفوه ولم يعرفوه، فأنا أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ هذا كله.

هذا سر اختيار الصراط في قوله {اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيم} فوجود السبل هي من الصراط، ولا تقول {سُبُلَ السَّلاَمِ} {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} تخالف القاعدة الافراد

والجمع، فهذه ليست مخالفة بل هذا تأكيد لأن تبقى على الشيء الذي يحبه الله تعالى ويرضاه.

فإن تلك هي طرق مرضات التي يجمعها سبيله الواحد والصراط المستقيم فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل واحد وهي سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها، وقد صح عن النبي صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه خط خطا مستقيما، وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قول الله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون} [الأنعام:153] وقوله تعالى بعد الآيات {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُون} قال بعدها {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُون} القوارع تقرع، الآيات، المواعظ {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُون} قال قال ابن عباس في آذانهم صمم عن استماع القرآن يسمعون، ولا يسمعون. يصلون خلف النبي صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي يقرأ القرآن، لا يسمعون.

واحد عنده سيارة، والولد مراهق يحب السيارات ثم احتاج السيارة لقضاء غرض في البيت وجد الولد سرق السيارة، وطار بها بعيدا، فلو قلنا هذا الرجل عنده سيارة، أو قلنا ما عنده سيارة أصبنا. عنده، وما عنده. عنده سيارة صورية، وما عنده سيارة، أتينا بالسيارة لقضاء أغراض البيت، وما قضينا شيئا من أغراض البيت.

فهؤلاء كذلك يسمعون.. يسمعون، لا يسمعون.. لا يسمعون.

يسمعون لكن لا يتعظون فهم صم قال ابن عباس في آذانهم صمم عن استماع القرآن، وهو عليهم عمى، أعمى الله قلوبهم فهم لا يفقهون اولئك ينادون من مكان بعيد هذا قول الله عَزَّ وَجَلَّ في فصلت {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيد} [فصلت:44] آذانهم وقر، عمى، القرآن عمى على بعض الناس القرآن

عمى، والله في عرس من الأعراس قمت أتكلم فقال لي رجل ما تتكلم. قلت حاضر. القرآن عليه عمى ما يستطيع يسمع القرآن، ولا يستطيع أن يسمع كلمة الله أو أن تقول قال صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمى، عمى، هذا موجود عند المسلمين، هذه صفة المنافق هذه صفات المنافق، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ العفو والعافية، والبكم جمع أبكم وهو الذي لا ينطق، والبكم نوعان بكم لا ينطق. الأبكم قسمين بكم قلب، وبكم لسان، هناك أناس ما لهم قلب ينطق، نحن قلنا في آخر درس في دروس تجريد التوحيد قلنا أن العبادة لها شرطان باطنيان، وشرطان ظاهريان.

الباطنيان قول القلب وعمل القلب، والظاهران قول اللسان وعمل الجوارح.

فالقلب ينطق، ينطق وهو صامت، ينطق بآثاره، قلب المؤمن غير قلب المنافق، قلبه أبكم.

قال البكم نوعين، بكم لسان، وبكم قلب، والنطق نطقان نطق قلب، ونطق لسان، وأشد أنواع البكم بكم القلب كما أن عماه وصممه أشد من عمى العين وصمم الأذن.

فوصفهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأنهم لا يفقهون الحق، ولا تنطق به ألسنتهم، والعلم يدخل على الإنسان من ثلاثة أبواب العلم، من السمع ومن البصر ومن القلب، وهؤلاء سُدت عليهم الأبواب الثلاثة فسُد السمع بالصمم، وسد البصر بالعمى، وسد القلب بالبكم.

ولذا هم لا ينتفعون.

هذا حال المنافقون.

المنافقون عاشوا مع مُحَمَّد صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورأوا أمثلة عجيبة من الإيمان من أصحابه رِضْوَان الله تَعَالَى عَلَيِهِم ما انتفعوا.

ما سر عدم الانتفاع؟

{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} فهم لا ينتفعون أبدا.

هذا الكلام على المثال الأول، وهو المثال الناري الذي فيه إشراق وإحراق فما نصيب المنافقين من المثل الإحراق لا الإشراق. الإحراق أين؟ في الدنيا والبرزخ والآخرة، كما أن المؤمن الإشراق بالنسبة إليه في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، وسيذكر الإمام ابن القيم عند

المثل الثاني، وهو المثل المائي ولما يذكر المثل المائي سيعود للمثل الأول ليذكر شبه بين المثلين، وكذلك يذكر أثر هذين المثلين على المؤمن، وهذا إن شاء الله ما نتعرض له في درسنا القادم.
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.